مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (38) العدد (1) 2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (38) No. (1) 2016

تأثير تجميل البيئة العمرانية على سلوك الإنسان
– دراسة مشروعات التجميل في بعض أحياء مدينة اللاذقية –

جميلة الصائغ *

(تاريخ الإيداع 5 / 7 / 2015. قُبِل للنشر في 27/ 1 / 2016)

□ ملخّص □

إن إدراك الإنسان للبيئة العمرانية المحيطة به تؤثر بشكل مباشر على حياته و سلوكياته و بذلك فإن العمل على تجميل هذه البيئة و إظهار قيمها الجمالية من شأنه أن يغير في ردات فعل السكان تجاه المكان الذي يعيشون فيه و يساهم في إحداث تغييرات حقيقية في مواقفهم تجاه بعضهم البعض و يحاول هذا البحث أن يعرف بالبيئة العمرانية و القيم الجمالية التي تساهم في إدراكها و مدى أثر هذه القيم و تغييراتها في سلوك الأفراد من خلال عرض بعض التجارب المحلية والعربية و العالمية التي قامت بتجميل البيئة العمرانية بوسائل بسيطة و بمشاركة السكان المحليين و رصد التغييرات الإيجابية في سلوك هؤلاء السكان و التي ظهرت من خلال ردود أفعال تنوعت بحسب طبيعة العمل المقدم و المكان الذي تمت فيه التجربة .

الكلمات المفتاحية : البيئة العمرانية ،القيم الجمالية ،تجميل البيئة العمرانية، سلوك الفرد

* قائم بالأعمال – كلية الهندسة المعمارية –جامعة تشرين – اللاذقية– سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (38) العدد (1) 2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (38) No. (1) 2016

The effect of improved the built environment On human‘s behaviors

Jamela ALsaaek*

(Received 5 / 7 / 2015. Accepted 27 / 1 / 2016)

□ ABSTRACT □

A human being awareness of his\her surrounding built environment directly affects his-her life and behaviors. Therefore, working to improve this environment and reveal its aesthetic values can change people‘s reactions towards the place itself and it can cause real changes in their attitudes towards each other

In brief, this presentation is trying to find out about the built environment and the aesthetic values, which contribute in its realizations.

It also discusses the effect of such values on the individuals' behavior by listing some local , Arabic and foreign experiences that have improved the built environment, using simple means as well as involving the locals in the aesthetic developing process of their own region in order to create positive changes in their manners which appears by their manners .

Key words: built environment , aesthetic values, beautify the urban environment, human behavior .

*Academic Assistant, Faculty Of Architecture, Lattakia University, Syria

مقدمة:

البيئة العمرانية هي بنية معقدة ذات مستويات متداخلة ومتشعبة تعكس العلاقة بين مجموعة من العناصر الفيزيائية والفكرية ضمن نظام كلي ونسق معين وهي مرتبطة إلى حد كبير بعوامل البيئة الطبيعية من مناخ وطقس ودرجات حرارة وحركة هواء واتجاه الشمس وما إلى ذلك من العوامل الطبيعية الأخرى إضافة إلى البيئة الفكرية أي المعنوية والرمزية لسكان تلك البيئة العمرانية [1] والتي تتكون بناء على تلك العلاقات من مجموعة مكونات تجتمع مع بعضها لاستيعاب مختلف النشاطات الإنسانية وتتدرج في المقياس من المدينة ككل إلى الحي فالمجاورة السكنية نزولاً للمجموعات السكنية[2].

يصف Kevin lynch البيئة العمرانية وتأثيرها على توجيه الإنسان فيها حيث يقول (إن صورة البيئة الفضلى تعطي الإحساس بالطمأنينة والراحة النفسية وتحقيق الذات)[3] وبالتالي فان تدهور هذه البيئة عمرانيا" و جماليا" كان له أثر سيء على سلوكيات المستخدمين و ردود أفعالهم تجاه محيطهم، و الجدير بالذكر أن العديد من بحوث علم النفس أوضحت أن القيم الجمالية للمكان تساعد على تأكيد الذات و تهذيب السلوك و تنمية القدرات و بناء الشخصية التفاعلية و هذه كلها من عناصر الصحة و الراحة النفسية و أساسا" لتأهيل المواطن الصالح[4]، في الماضي لم تكن البيئة موضوعاً مسيطراً على عقول الناس كما هي الآن؛ حيث أننا اليوم نريد محيطاً مبنياً أكثر جاذبية كما ننشد الراحة نريد لأبنائنا الأفضل، نريد أن نهيئ للمستقبل ونحتفظ ببعض ذكريات الماضي نريد جذوراً ونريد أماناً نريد ان نشعر بالانتماء والعيش في بيئة مريحة وإنسانية وفيها عناصر الجمال لنستمتع بها ونفخر بها[5].

أهمية البحث وأهدافه:

تأتي أهمية هذا البحث كونه يحاول دراسة العلاقة بين الإنسان وبيئته العمرانية على اعتبار أن هذه "البيئة ليست مجرد غلافاً معمارياً أو وعاء عمرانياً يحوي الإنسان فقط بل المحضن الذي يشكل شخصيته ويوجه في كثير من الأحيان سلوكه" [6] وهو يبحث في مدى تكامل المعادلتين المكانية والاجتماعية والى أي حد يمكن التأثير في السلوك من خلال تجميل البيئة العمرانية ؛وذلك بتركيزه على الاتجاه الفكري الذي يهتم بالعلاقة بين المكونات المادية للعمران وسلوكيات المستخدمين و الذي يتوسط مجال العمارة المادي والجمالي ومجال التخطيط العمراني اللذين يساعدان في تشكيل تلك البيئة العمرانية. كما يسلط الضوء على إشكالية تدهور البيئة العمرانية في المدن العربية عموماً والسورية خصوصاً، وانعكاس ذلك على كفاءة الوسط المبني وعلى راحة مستخدميه، وبالتالي على سلوك هؤلاء المستخدمين وتفاعلهم مع هذا الوسط .

بناء على ما سبق فان الهدف من البحث هو الوصول إلى آليات و أفكار تساعد في التأثير على سلوكيات أفراد المجتمع و حالتهم السيكولوجية و الفيزيائية إيجاباً وذلك عن طريق رصد بعض الأفكار المستخدمة في تجميل البيئة العمرانية الراهنة و رفع كفاءتها الجمالية و دراسة كيفية تأثيرها و مدى تفاعل هؤلاء الأفراد معها .

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج النوعي الاستنتاجي من خلال استعراض تجارب عالمية وعربية وتحليل لتجارب محلية في تجميل البيئة العمرانية لاستطلاع الأفكار المطبقة في تلك التجارب واستنتاج تأثيراتها على سلوكيات المستخدمين؛ وعلى هذا الأساس يتكون البحث من إطارين رئيسيين:

الأول: إطار نظري يتناول مفاهيم البيئة العمرانية في المدن وكفاءتها الجمالية وتأثيرها على سلوك قاطنيها.

الثاني:إطار تحليلي يتناول استعراض مجموعة من التجارب العالمية والعربية و تحليل لتجربة محلية في سياق تجميل البيئة العمرانية باستخدام استبيانات مكتوبة وتوزيعها على عينة عشوائية من أفراد المجتمع المحلي [الملحق رقم1]

4 –مفاهيم مرتبطة بموضوع البحث:

4–1 –تعريف البيئة العمرانية:

توجد تعاريف عديدة للبيئة العمرانية فهناك من يعرفها بكونها تعبيرا" تنظيميا" للفراغ يعمل على التواصل الزمني في مفهوم الحياة الإنسانية وأنشطتها وأساليب المعيشة فيها وقدرتها الزمنية المجردة في التعبير عن المضمون الثقافي[7]؛ وهناك تعريفا" آخرا" بأنها أحد مكونات البيئة الكلية التي نعيش فيها أي أنها هي النسيج المادي المعبر عن تفاعل الإنسان مع بيئته بهدف إشباع متطلبات الإنسان المادية والروحية في إطار محددات خلفياته الثقافية والاجتماعية والفكرية حيث أن البيئة الكلية هي مجموعة البيئات المكونة من بيئة اجتماعية وبيئة عمرانية وبيئة نفسية وسلوكية.

تصنف البيئة العمرانية إلى نوعين البيئة العمرانية التلقائية و البيئة العمرانية المنظمة والفرق بينهما هو الفرق في علاقة الإنسان بالبيئة في كل منهما فالبيئة العمرانية التلقائية تكون فيها علاقة الإنسان ببيئته علاقة مباشرة حيث يتعامل معها من خلال متطلباته التي يحتاج إليها و ذلك دون توجيهات و خطط واضحة المعالم أما البيئة العمرانية المنظمة فتنقطع فيها العلاقة المباشرة بين الإنسان وبيئته نتيجة تدخل أطراف عديدة تعمل على تعديل هذه البيئة وبالتالي تختفي التلقائية ويحل محلها التخطيط المسبق الذي يؤدي إلى تغيير في ردود الأفعال على أساس السياسات والتوجهات العامة[7].

4–2 –إدراك البيئة العمرانية وتأثيرها على سلوك الإنسان:

يدرك الإنسان البيئة العمرانية المحيطة به عن طريق استقباله أو رؤيته لتلك البيئة فتمر المعلومات التي رآها عبر عدد من المرشحات" Filters" موجودة في العقل حيث توفر للإنسان إمكانية فهم واستيعاب هذه البيئة ويؤثر في هذه المرشحات مجموعة من العوامل والمتغيرات مثل الثقافة والتاريخ والمعايير الاجتماعية والخبرة الشخصية[7]؛ وبالتالي فإن تصرفات الإنسان وردود فعله (سلوكه) تكون من خلال الصور و الانطباعات الذهنية المتكونة لديه؛ والتي تنعكس بمقاييس متفاوتة على نفسية وتفكير وذهنية مجمل السكان، وبالنتيجة يكون سلوك هؤلاء السكان إيجابياً أو سلبياً تجاه بيئتهم العمرانية بحسب مستواهم الفكري والثقافي وبمدى الاحساس بالانتماء والشعور بالجمال العاطفي لهذه البيئة .

4–3 –تدهور البيئة العمرانية جماليا":

تشهد البيئة العمرانية اليوم تدهوراً خطيراً في معظم المدن العربية عموماً والسورية خصوصاً حيث تحولت الكثير من المدن إلى أماكن غير آمنة ومتسخة ومليئة بالنفايات ومغطاة جدرانها بالكتابات والإعلانات بطريقة مستفزة إضافة إلى كونها ملوثة مزدحمة ومكدسة بالمباني القبيحة ذات الصيانة الرديئة و قد يكون التلوث البصري هو اكثر ما يسبب انعدام التذوق الفني حيث انه تشويه لأي منظر تقع عليه عين الانسان مما يسبب عدم الارتياح النفسي نتيجة لاختفاء الصورة الجمالية لكل ما يحيط بنا من أبنية و طرقات و أرصفة .....الخ .أضحت هذه البيئة بعيدة وغريبة حتى عن

قاطنيها الدائمين و أصبحت تدخل تحت العبارة المشهورة التي أطلقها دوغلاس آدمز (إنها مشكلة الآخرين) [5]: فلا شعور بالانتماء ولاشعور بالمسؤولية والاهتمام بما هو حولنا حتى انك عندما تسأل أي مستخدم عن رأيه بالعمران المحيط به يكاد يكون الجواب واحداً ويتبدل بين الجمل التالية: "غير جيد – مزعج – قبيح – غير إنساني– عادي وممل" دون أن يكون قادراً على تعليل سبب المشكلة باستخدام مفردات علمية عمرانية أو معمارية... تتمثل أهم مظاهر التلوث في البيئة العمرانية [10] بما يلي:

- رداءة التصميم العمراني من حيث توزيع بعض الأبنية وتوزيع الفراغات المفتوحة ونسب هذه الفراغات وارتفاعات الأبنية المحيطة بها.
- انتشار الأحياء العشوائية بجوار الأحياء المنظمة وتداخلها في كثير من الحالات.
- المباني المتداعية والمهملة وسط الأحياء المنظمة.
- تدني المستوى الجمالي للعمران المعاصر بسبب عدم تطبيق ضوابط جماليات العمران مثل: توازن أحجام الأبنية، تجانس الألوان والملمس البصري في الواجهات، ديناميكية خطي البناء والسماء.
- الإهمال الملحوظ للمساحات الخضراء وعدم تنسيقها والتركيز على النواحي الجمالية والبصرية للعناصر الطبيعية (النباتات) والعناصر الاصطناعية (مواد الرصف) وعناصر الفرش العمراني.
- لوحات الإعلانات التجارية العامة والخاصة بكل ألوانها وأشكالها، وصناديق القمامة غير النظامية وأماكن توزيعها.

4-4- مفهوم الجمال والقيم الجمالية للبيئة العمرانية:

إن الجمال مظهر هام من مظاهر رقي الحضارة وتقدمها وتؤكد الملاحظة أن الانسان تواق الى الجمال في أي زمان ومكان ويسعى إليه سعيه إلى الراحة، ويعرف بأنه الصفة الموجودة في شيء معين والتي تبعث السرور والبهجة وتدخل على النفس الرضا والارتياح[8]، كما يعرِف بأنه الإحساس الذي يبدو عندما يبلغ الشيء قدراً من الإتقان والكمال.... وتتغير فكرة الجمال بتغير الزمان والمكان وهكذا فإن الجمال هو علم وفلسفة قائم بحد ذاته له استقلاليته كأي علم آخر... من الممكن تقسيم الجمال إلى ثلاث أنواع[9]:

الجمال المادي: ويكون في الأمور المادية المحسوسة وتدركه الحواس.

الجمال المعنوي: ويكون في المجردات ويدركه العقل والقلب.

الجمال المادي والمعنوي معاً: وهو جمال يجمع بين النوعين السابقين ويدرك بالحواس والعقل معاً

يقاس الجمال في البيئة العمرانية من خلال مجموعة من القيم الجمالية التي تعتبر عنصراً رئيسياً من عناصر الثقافة الاجتماعية وهي وسيلة للتعبير ولإشباع أرقى حاجات الإنسان المتمثلة في الذوق والفن والوجدان، وهي ذات تأثير ايجابي على آداب السلوك وأنماطه وموجهة له... يعتبر علماء النفس تلك القيم بأنها تحقيق التوافق العام مع الذات ومع البيئة المحيطة للحصول على شخصية متوازنة نفسياً واجتماعيا [4]، وهذه القيم تتأثر بشكل كبير بدرجة تنوع وتناسق مكونات المكان وتنظيم عناصره. تحدد القيم الجمالية للبيئة العمرانية في وقتنا الحالي كما يلي[9]:

- الإتقان والدقة التي تضفي على الشيء جماله المناسب.
- القصد: ويقصد بهذه السمة نفي العبث عن الموضوع الجمالي لان الجمال تناسق وتوازن وإحكام.
- التنوع: يعتبر التنوع من أهم العوامل المؤثرة في شعور المتذوق بالاستمتاع.

- التنظيم: يختص التنظيم بتناسق الأبعاد و ترتيب الأشياء في استقامة أو تطابق أو تناظر انه التناسق في الصورة الظاهرة لإبراز ملامح الجمال المختلفة.
- التناسق: التناسق نظام يربط الأشياء بعضها ببعض فتبدو في وحدة متجانسة متكاملة بحيث تبدو الأجزاء متوازنة متكاملة فالتناسق يقوم على تحقيق نسب الأشياء في الكم والشكل واللون والحركة والصوت.
- الوحدة والتوافق والانسجام: ويقصد به إيجاد صلة تقارب أو تشابه الأشياء مع بعضها البعض ويمكن أن يكون بين مجموعة من الألوان ويسمى توافق لوني أو بين مجموعة أشكال ويسمى توافق شكلي.
- الإبداع: وهو من خصائص وسمات الجمال الهامة التي ينبغي أن تتوفر في الشيء حتى يسمى جميلاً.
- التوازن: تبدو هذه السمة في اتزان العناصر وعدم طغيان أحدها على الأخر .
- الترابط: وتبدو هذه السمة في اجتماع العناصر على أصل ومصدر واحد واشتراكها في شيء يربط بينها جميعاً ليصبح الأصل جميلاً.

كما يمكن ان تدخل العديد من القيم الجديدة مستقبلاً و تختفي أخرى حسب تطور مفاهيم الجمال بتطور الزمان و المكان .

4-5: مفهوم تجميل البيئة العمرانية:

إن المفهوم العام لتجميل البيئة العمرانية يعني العمليات التي تهدف إلى تحسين البيئة التي يعيش فيها الفرد بجوانبها العمرانية والمعمارية [10] وذلك من خلال تدابير مدروسة تهدف الى معالجة مظاهر التلوث البصري وتكريس القيم الجمالية ضمن الامكانيات المتاحة لإعطائها تعبيراً أو قيمة وتحويلها إلى واقع أكثر مراعاة لهوية المستخدمين (Users Identity) واحتياجاتهم الوظيفية واحترامها لقدرتهم على فهم العمران والتفاعل معه باختلاف انتماءاتهم وخلفياتهم. هذا الأمر من شانه أن يساهم في إحداث تغييرات ايجابية في سلوكهم تجاه بعضهم وتجاه المكان الذي يتواجدون فيه أو يستخدمونه وهذا تماماً ما يتوافق مع نظرية حديثة في علم البيئة والسلوك أطلق عليها اسم نظرية الاستمتاع (The theory Of Fun) : وهي مجموعة من الأفكار تؤكد أن الغاية الأساسية من وجود الإنسان هو أن يتمتع بما حوله بحيث يحقق رغباته ضمن الواقع الموجود به الأمر الذي ينعكس إيجابياً على ردود فعله وسلوكه تجاه المحيط ؛ وذلك عبر ابتكار طرق مرحة وممتعة ومختلفة تضيف إليهم إحساساً بالجمال والسعادة فيتغير سلوكهم دون أن يشعروا وهذا ما يسمى في علم النفس " السلوك التنظيمي " أي العمل على توجيه أو تبديل السلوك من خلال التأثير في المسببات[11].

4 -5-1-أثر تجميل البيئة العمرانية على السلوك الانساني:

ان البيئة المحيطة بالإنسان تسمى ظرفاً ولهذه الظروف آثاراً تختلف باختلاف حياة الفرد وطبيعته الاجتماعية [12] حيث أن التلوث البصري يصبح جزءاً من واقعه فلا يراه شاذاً إنما يألفه و يفرض عليه نوعاَ من الذوق و الاختيار الغير متلائم وطبيعته فيعطيه الإحساس بالاغتراب في بيئته كما يهدد أمنه و سلامته سواء الصحية أو النفسية و استقراره وأمانه[13]؛و في هذا السياق يمكن التأكيد على وجود صلة وثيقة بين ادراك الانسان للبيئة العمرانية و سلوكه البشري تجاهها ومن ثم أسلوب الحياة لتؤثر البيئة في ساكنيها وذلك بتوفير أوساط ملائمة لتغيير سلوك الأفراد من خلال تجميل البيئة العمرانية ورفع القيم الجمالية وتحقيق مستوى من الحاجات النفسية المهمة كالأمان و تحقيق الذات و الانتماء؛ مع التأكيد على أن النواحي الجمالية في أي بيئة عمرانية لا تخضع للذوق و الآراء المختلفة فقط بل هي ذات اتجاهين الاول فردي خاص و الثاني مشترك حيث تتلاقى الرؤى مشكلَة حقيقة متفق عليها بين الناس[12] وهكذا

نصل إلى ان حصول تفاعل ايجابي بين سكان بيئة معينة محسنة يقلل من التخريب و من الأمراض الاجتماعية التي يمكن أن تحدث في بيئة عمرانية أقل جمالاً [5] ،حيث أن الشعور بالقيم الجمالية يغير القيم السلوكية فالشعور بالرضى من شانه أن يزيد من الرغبة بارتياد المكان و بالتالي الاحساس بالانتماء اليه و المسؤولية بالحفاظ عليه و الاهتمام بتجميله[13].

4-5-2 – الإمكانيات الذاتية المتاحة لتجميل مكونات البيئة العمرانية:

نتيجة الصعوبة في إعادة تنظيم شاملة للبيئة العمرانية في المدن و خاصة العربية منها كان لابد من البحث عن

الشكل رقم (1) نماذج لتجميل واجهات مباني قائمة [14]

عناصر أو أجزاء في هذه البيئة تشكل إمكانيات متاحة وقابلة لتطبيق عملية التجميل عليها وذلك من خلال إجراء تعديلات تحقق تنمية الوعي الإدراكي وتكون بيئة عمرانية حضارية بما يؤمن تكاملاً بين البيئة والفرد. هذه العناصر والمكونات يمكن أن تصنف بالمكونات المادية وهي[7]:

1 – الواجهات: وقد تكون طبيعية أو مبنية ويمكن العمل على تجميلها بتغيير ألوانها وملمسها أو الفتحات الموجودة فيها أو إضافة عناصر معمارية خاصة. (الشكل رقم 1).

2-الأرضيات يمكن تجميلها بتغيير ألوانها وموادها وإضافة بعض العناصر الجديدة عليها. (الشكل رقم 2)

الشكل رقم (2) نماذج مختلفة من الأرضيات التجميلية[14]

3-العناصر الطبيعية: تمثل الأشجار والأزهار والمسطحات الخضراء والعناصر الطبيعية الأخرى. (الشكل رقم

الشكل رقم (3) نماذج لبعض عناصر الطبيعة التجميلية[15]

(3

الشكل رقم (4) نماذج نحتية ورسومات لتزيين الحدائق والشوارع [15]

4-عناصر الفرش العمراني: مثل التماثيل التذكارية والأعمال النحتية والنوافير والمقاعد والتغطيات الخفيفة ومواقع تجميع القمامة و حاوياتها وكل ما يمكن إضافته للفراغ. (الشكل رقم 4)

5-عناصر الحركة الأفقية والشاقولي: تمثل المسارات والطرق والأدراج والسلالم ويمكن تغيير أشكالها وألوانها والمواد المصنوعة منها لتناسب الغاية الجمالية المرجوة. (الشكل رقم 5)

الشكل رقم (5) نماذج لعناصر الحركة الشاقولية[14]

هذا ولابد أن نذكر أن الأنشطة الإنسانية في بيئة عمرانية محددة تعطي طابعاً مميزاً لهذه البيئة وهو ما يمكن تغييره أيضا ليحقق هدفاً تطويرياً جمالياً يؤثر إيجابياً على مستخدمي هذه البيئة .(الشكل رقم 6)

الشكل رقم (6) ارتباط طريقة التجميل بطبيعة النشاط [14]

النتائج والمناقشة:

5 – استعراض وتحليل تجارب عملية في تجميل البيئة العمرانية وتأثيرها على السلوك:

يتناول هذا القسم بالدراسة استعراض و تحليل لبعض التجارب العالمية و العربية و المحلية و التي قامت بها مؤسسات أو أشخاص والتي عملت على تجميل بيئات عمرانية معينة واجتهدت من أج ل تغيير أنماط السلوك الانساني لساكنيها قدر الإمكان من خلال امكانيات بسيطة اعتمدت على التناغم اللوني و تغيير بعض عناصر اللاند سكيب لتصبح الأمكنة أكثر جمالاً دون أن نتفصل عن واقع الانسان الذي يستخدمها .

5-1-التجارب العالمية:

تنوعت التجارب العالمية المدروسة بين معالجة مظاهر التلوث البصري للأبنية السكنية والعامة من خلال تلوين واجهات هذه الأبنية وتنفيذ رسومات مختلفة جدارية أو أرضية للتعبير عن فكرة ما او لإظهار ارتباطها بالمكان الذي تقع فيه هذه الأبنية.

وقد شهدت اوروبا وأميركا العديد من التجارب الرائدة في مجال تجميل البيئة العمرانية وخاصة في البيئات البسيطة وذلك بجهود منظمات تهتم بالشأن العام والإنساني بمشاركة العديد من الفنانين اضافة إلى مشاركة مستخدمي المكان.

❖ **تجربة مدينة غواتيمالا العاصمة (غواتيمالا) اميركا الجنوبية :[16]**

موقع التجربة: في وسط مدينة غواتيمالا العاصمة حيث ينتشر الفقر والأعمال الإجرامية نتيجة الحرب الأهلية التي تعرضت لها البلاد.

الهدف الأساسي من التجربة: كان الهدف الأساسي العمل اعادة الشعور بالأمان و الانتماء إلى الحي من خلال الفن وتغيير نظرة السكان إلى بعض الشوارع التي ارتبطت بأعمال العنف التي حصلت في تلك المدينة.

تمويل التجربة: كان الفنان الألماني "جيم أفنيون" هو الراعي الأساسي للتجربة وذلك بالاشتراك مع معهد غوته في المكسيك اضافة إلى مجموعة من الفنانين المحليين والأوروبيين المهتمين بفن الشوارع وتأثيره على السكان.

فكرة التجربة :كانت الفكرة الأساسية هي تحويل الحائط الطويل جداً وسط المدينة إلى معرض في الهواء الطلق لأعمال مجموعة الفنانين المشاركين بحيث يرسم كل فنان منهم لوحته على الجزء المقرر له بجانب الآخر دون ان ينظر للعلاقة التي تربط بين اللوحات ولا إلى ماهية العلاقة بين الخطوط و الألوان و المحتوى في تلك اللّوحات حيث ان المشاركين ثلاثة عشر فناناً لكل منهم أسلوبه الخاص ولم يقتصر دور الفنان جيم أفنيون على المشاركة بل كان له الدور الأساسي في ادارة التجربة كالتعامل مع الفنانين و اعطاء النصائح و اللباقة في التعامل مع السكان للاستفادة من جهودهم في نجاح التجربة و ذلك خلال الأيام الثلاثة المخصصة لتجميل الجدار . (الشكل رقم 7)

تقييم التجربة: أكد المشاركون أن التجربة ساهمت في تغيير نظرة الناس إلى المكان من خلال تجميل المكان بتحقيق تناغم لوني و مكاني حيث أدخلت الرسومات البهجة والسعادة على المكان كما حملت الرسومات أفكاراً اجتماعية لتوصل رسائل هادفة إلى سكان المنطقة اللذين عانوا من الفقر والعنف نتيجة الحرب الأهلية وظهر تعاون السكان واضحاً في مساعدة الفريق للوصول إلى حائط جميل ملون. (الشكل رقم 8)

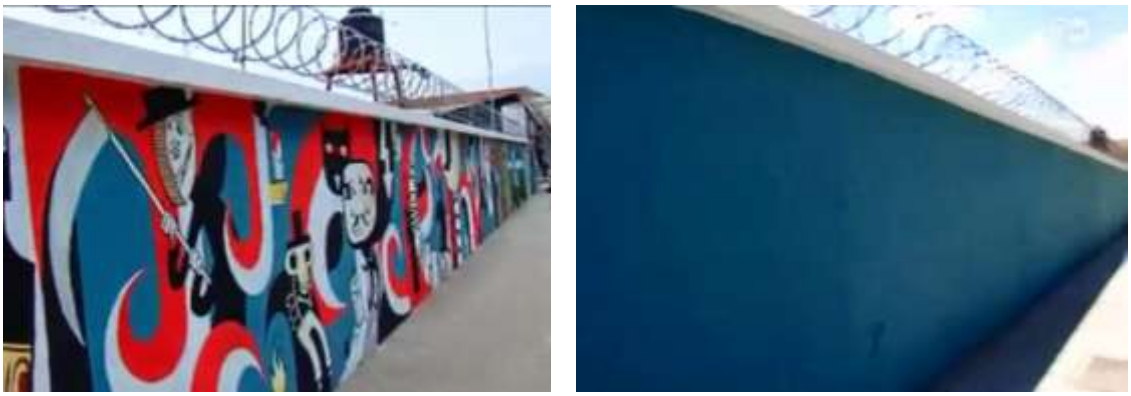

الشكل رقم (7) الجدار قبل وبعض التجميل [16]

5-2-التجارب العربية:

❖ تجربة تجميل حي (كوم غراب) في مدينة القاهرة (مصر) [17]:

موقع التجربة: حي عشوائي يقع في قلب القاهرة القديمة على مقربة من الكنيسة المعلقة وفي مواجهة تجمعات الفخاريين ويقوم فوق تل ترابي وصخري يرتفع عن الأرض من ثلاثة إلى عشرة أمتار ويمتد طولياً لمسافة 400م ويتراوح عمقه بين عشرين ومائة وخمسين متراً. كان يسكن الحي 10 آلاف شخص موزعين في 200 منزل أثناء

الشكل رقم (8) مشاركة سكان الحي في العمل [16]

التجربة أما اليوم فيصل عدد قاطنيه إلى 30 ألف نسمة؛ تعاني أبنية الحي عموماً من تدني المستوى الجمالي والتلوث البصري ومن انعدام إحساس السكان بالمسؤولية عن الواقع المذري لهذا الحي. (الشكل رقم 9)

الهدف الأساسي للتجربة:

– لفت أنظار الحكومة إلى إمكانية تجميل المناطق العشوائية بالجهود الذاتية وبأقل تكاليف.

–التركيز على البعد الإنساني من خلال التقريب بين سكان الحي لإخراجهم من عزلتهم.

– إزالة القبح عن وجه الحي.

تمويل التجربة: كان التمويل على رأس المشكلات التي واجهت التجربة ولكنها شهدت بعض المحاولات التي ساعدت في التغلب على صعوبة التمويل من خلال مساهمة الاتحاد العالمي لنقاد الفن التشكيلي ودعم مالي قدمته وزارة الثقافة من خلال المركز القومي للفنون التشكيلية كما ساهم الفنانون بدفع أجور العمال والتكاليف اليومية للمشروع اضافة الى تبرعات تقدم بها بعض رجال الأعمال.

فكرة التجربة : بدأ مجموعة من الفنانين التشكيلين التجربة بمحاولة فرض الجمال بقوة الريشة والألوان ومسح القبح عن وجه الحي وقد كان صاحب الفكرة الفنان عادل الآسيوي بالمشاركة مع الفنان التشكيلي محمد عبلة والناقدة

الشكل رقم (9) التلوث البصري لواجهات المباني في الحي [17]

التشكيلية فاطمة إسماعيل وقرروا نقل الأفكار إلى ارض الواقع وتحويلها إلى واقع جميل. شارك في التجربة سبعة عشر فناناً تشكيلياً ومنهم من كانوا من سكان المنطقة أصلاً؛ واعتمدت التجربة على فكرة أن أهالي الحي على علاقة وطيدة بالأعمال الفنية لاشتغالهم بالفخار والخزف. استغرقت التجربة عامين كاملين (1996–1998) وبدأت فعلياً بخمسة منازل فقط بعمل استكشاف لها ولما ستؤول إليه وقد أقبل الأهالي على المشاركة بعد عقد جلسات مناقشة لهم للتعرف على مشاكلهم؛ ثم تم عرض فكرة المشروع على الأهالي وتحمسوا لها وبدأوا يشاركون في الرأي ثم بدأوا المشاركة في العمل وقد تقاضى جزء منهم أجراً بسيطاً تبرع به الفنانون المشاركون.

قام المشاركون بتجميل واجهات المباني باستخدام الألوان ومواد إكساء كالطوب والخزف الذي تشتهر به المنطقة وقاموا بالتشجير وإضافة نافورة مياه وبعض عناصر الفرش العمراني المتناسبة مع روح المكان إضافة إلى تركيب كشافات إضاءة أظهرت العناصر الزخرفية الجديدة المضافة. (الشكل رقم 10)

تقييم التجربة: كانت التجربة ناجحة وكان الهدف منها التأكيد أن الجمال من شأنه أن يؤثر على كل ما حوله من خلال إيجاد حالة من السلام الاجتماعي داخل المنطقة أدت إلى استعادة البسطاء ثقتهم ببيئتهم وحرصهم على تنميتها وتطويرها بمجهوداتهم وانتفاء الشعور بالازدراء والتهميش لديهم، ورأوا فيها فكرة ناجحة كونها جعلت البيئة السكنية في الحي نظيفة وأكثر إنسانية واحتراماً للمستخدمين مما أدى إلى تفاعلهم الإيجابي معها والحفاظ على ملامحها لأطول فترة ممكنة.

الشكل رقم (10) يوضح جانب من حي كوم الغراب قبل وبعد التجميل [17]

5-3-التجارب المحلية (مدينة اللاذقية):

نشطت التجارب المحلية التي اهتمت بتجميل البيئة العمرانية في مدينة اللاذقية السورية وقد برز العديد من الفرق التطوعية التي عملت في هذا المجال والتي اعتبرت أن التوجيه غير المباشر للإنسان عن طريق تقديم بيئة أجمل من شأنه أن يؤثر ايجاباً على سلوك المستخدمين وسنعرض فيما يلي بعض التجارب لفريق " **قطرات ملونة** " المكون من مجموعة من الشباب بمختلف الاختصاصات والذين آمنوا بالعمل التطوعي للوصول الى انسان أفضل من خلال بيئة عمرانية أفضل و قد تم تقييم هذه التغييرات من خلال توزيع استمارة بحثية لرصد التحولات في القيم السلوكية لهم [الملحق رقم1] بعد العمل على تجميل المكان نفسه الذي اعتادوا على ارتياده .

❖ **تجميل زقاق في حي سكني (حي السجن):**

موقع التجربة : يقع الزقاق في الجهة الشمالية الغربية من حي السجن ويتكون من عدد من البيوت السكنية المتواضعة من حيث الشكل والواجهات.

هدف التجربة: تهدف التجربة عموماً إلى لفت أنظار الجهات المعنية إلى تلك الشرائح السكنية المهملة والعمل على امكانية الارتقاء بها جمالياً وبصرياً في محاولة لعكس هذا التجميل على حياة ساكنيه وسلوكهم.

أما الأهداف الغير مباشرة للتجربة فهي رفع الوعي البيئي لسكان الزقاق من خلال اظهار أهمية المحافظة على جمال البيئة العمرانية التي يقطنونها وأثرها على نفسيتهم؛ إضافة إلى تشجيع ونشر ثقافة العمل الجماعي التطوعي، وبالتالي دعم المبادرات التي قد تنشأ من أهالي الحي نفسهم لاحقاً.

استغرق العمل في التجربة ثمانية ايام، وشارك فيه حوالي خمس وعشرون متطوعاً مع مساعدة من قبل الاهالي

تمويل التجربة: ساهم عدد من متطوعي فريق قطرات ملونة بالاستعانة ببعض جمعيات المجتمع المدني لتأمين المواد اللازمة لإنجاز التجربة.

فكرة التجربة: تقوم على تلوين واجهات الأبنية المطلة على الزقاق وتجميلها برسومات جدارية وتوزيع بعض عناصر الفرش العمراني في فراغ الزقاق كسلات المهملات واللوحات الاعلانية واحواض الزهور. اقتصرت المواد المستخدمة في الرسومات على الطلاء الاكريليكي والزيتي وتميزت هذه الرسومات بالبساطة كرسم احجية من الاحرف الأوغاريتيه التي يستطيع الاطفال حلها واستنتاج جملة "بالمحبة نبني سوريا قطرات ملونة" بالإضافة الى رسم مقياس طول للأطفال. (الشكل رقم 11)

كما تم تحسين وضع بعض الجدران قبل البدء بالتلوين وذلك بتنظيف وإزالة الملصقات الموجودة. (الشكل رقم 12)

أما بالنسبة للتكوين اللوني فقد تم اختيار ألوان مريحة نفسيا كالأخضر والأزرق والأصفر والزهري والعمل على مساحات لونية كبيرة نسبياً كجدران الأبنية وأبواب المحلات حيث تم ربطها بباقي المساحات من خلال ادخال ألوان عن

الشكل رقم (11) نماذج من الرسومات التجميلية [18]

طريق حواف النوافذ والأبواب وأنابيب التمديدات الصحية بحيث تمت محاولة تخفيف التشوه البصري للأسلاك الكهربائية والتمديدات من خلالها دمجها بعملية التكوين اللوني تجنباً لحصول أي تناقض على امتداد اللون الواحد. (الشكل رقم 13)

الشكل رقم (12) يوضح عمليات تنظيف الجدران قبل البدء بتجميلها [18]

الشكل رقم (13) استخدام الالوان المريحة في تجميل الواجهات ودمج حواف النوافذ وأنابيب التمديدات الصحية في التكوين اللوني.[18]

تقييم التجربة : أكد المتطوعون من خلال العمل أن السكان قالب مرن يمكن التعامل معهم ببساطة وتوجيههم إلى الحالة المناسبة و قد لاحظوا تحولاً واضحًا في تصرفاتهم؛ فقبل البدء بالمشروع كان يوجد لدى البعض حالة من العدائية و اللامبالاة بنظافة و جمال المكان، و لكن بعد مشاركتهم في عملية التجميل أصبحوا أكثر انفتاحاً وحرصاً على موضوع النظافة وذللك انطلاقا من فكرة أن ما يشارك به الفرد من عمل يصبح جزء منه لا يرضى أن يعبث به أحد مما يعني بأن هذا العمل أحدث العديد من التحولات الإيجابية لدى القاطنين في هذا الزقاق والمتمثلة بزيادة الإحساس بالانتماء إلى المكان وتعزيز روح التعاون بين هؤلاء القاطنين. (الشكل رقم 14)

الشكل رقم (14) ويوضح تفاعل سكان المنطقة مع المتطوعين والرغبة في المشاركة [18]

❖ **تجميل حديقة المشروع ـ ب –**

موقع التجربة: المشروع ب بالقرب من شارع الجمهورية في مدينة اللاذقية .

الهدف من التجربة: الارتقاء جمالياً بالوضع الحالي للحديقة باعتبارها الملاذ الاول لأطفال الحي أما الهدف غير المباشر فهو نشر ثقافة المشاركة في تجميل الحديقة. (الشكل رقم 15)

الشكل رقم (15) المشاركة في العمل [18]

تمويل التجربة : قامت مديرية الحدائق في مدينة اللاذقية بدعم المشروع وتأمين المواد المطلوبة لإنجازه بالإضافة إلى مساهمة بعض المتطوعين من جمعيات أهلية بتأمين بعض المواد اللازمة.

فكرة التجربة: تقوم على إعادة تدوير بعض النفايات والمواد المستخدمة سابقاً في تجميل الحديقة وصيانة بعض عناصرها (الشكل رقم16) بحيث يتم تجميلها بأقل كلفة ممكنة وإشراك رواد الحديقة في اختيار المواد اللازمة لتجميلها. تم اختيار الألوان لكل ركن من أركان الحديقة بحيث تتناسب مع وظيفته، ففي أركان جلوس الاهالي تم اختيار الألوان الهادئة أما في أركان الاطفال فتم استخدام الألوان الصارخة في طلاء الألعاب المعدنية مع تزيين المقاعد برسومات مختلفة ودهن حجارة الرصيف لتكون كالخط الذي يربط الحديقة ببعضها بمسار بصري إضافة إلى رسم بعض الألعاب على الأرض في محاولة لاسترجاع ألعاب شعبية بسيطة ومسلية... (الشكل رقم 17)

الشكل رقم (16) استخدام إطارات مطاطية مستهلكة سابقاً في عمليات تجميل الحديقة[18]

الشكل رقم (17) تزيين وتجميل المقاعد والأرصفة [18]

تقييم التجربة : تبين بعد إنجاز التجربة ارتفاع معدل تردد الأطفال مع ذويهم الى الحديقة بشكل واضح و يعزى ذلك الى وجود عناصر جذب جديدة بصرياً و جمالياً ، و لوحظ من خلال التقييم المتكرر لوضع الحديقة أن الأعمال التجميلية المنجزة في الحديقة لم تتعرض للتخريب بصورة ملحوظة كما في السابق مما يعني أن هذه التجربة قد نجحت في زيادة الإحساس بالانتماء و المسؤولية تجاه هذه الحديقة و تعلق الأطفال عاطفياً بها بعد تجميلها .

❖ تجميل مشروع الدرج المؤدي الى حي القلعة:

موقع التجربة: الدرج المؤدي إلى حي القلعة والملاصق لفندق الريفيرا مقابل المركز الثقافي الجديد والذي يربط بين شارعين بينهما فرق في المنسوب يصل إلى حوالي 15م ويتكون من حوالي 96 درجة. (الشكل رقم 14)

الهدف من التجربة: العمل على أن يكون هذا الدرج معلماً من معالم مدينة اللاذقية بتحويله من عنصر معماري رمادي بارد لونياً (رمادي) إلى عنصر أكثر ديناميكية وحيوية بإعادة تشكيله لونياً إلى مجموعة من اللوحات الملونة وذلك لإظهار قدرة المواد البسيطة على تغيير طابع المكان وتجميل البيئة المحيطة.

فكرة التجربة: استخدام الطلاء الملون لتحويل المكان إلى لوحة فنية، تم اختيار ألوان صريحة بطريقة بسيطة لتجميله، فقسمت الدرجات إلى مجموعات متساوية أعطي لكل مجموعة منها لون خاص إضافة الى تشكيل لوحة زخرفية بدمج عدد من المجموعات الوسطية؛ مما زاد من استخدامه بشكل ملفت وخاصة من الأطفال.

الشكل رقم (18) الدرج البيتوني قبل وبعد الانتهاء من تجميله [18]

الشكل رقم (19) تفاعل الناس مع الدرج [18]

تقييم التجربة: لاقت هذه التجربة استحسان أهل المنطقة وسكان الأحياء الأخرى وازداد بشكل واضح استخدام الناس للمكان فلم يقتصر استخدامه كعنصر وظيفي للانتقال بين مستويين بل تحول إلى مقصد للزوار بمختلف أعمارهم لرؤيته والتقاط الصور التذكارية أمامه وهذا يعني أن التحول الرئيسي لدى السكان تمثل بتغيير الإحساس نحو المكان؛ حيث حل الشعور بالرضا والاستمتاع بجمال الألوان بدل الشعور بالنفور والابتعاد عن استخدام هذا المكان. (الشكل رقم 19)

ان دراسة هذه التجارب أكدت أن التفاعل بين الانسان و البيئة المحيطة يترك لديه تصرفات و شعور تؤدي إلى سلوكيات تتفاوت حسب مستوى التلوث الموجود حول [13] و أن تحسين واقع البيئة جمالياً من شأنه ان يزيد في تحقيق الشعور الايجابي و السعادة و الاستمتاع فتتغير القيم السلوكية[19] فيزداد الرضى عن المكان و بالتالي ارتياده أكثر مما يعزز الشعور بالانتماء ليصبح الاهتمام به و المشاركة في المحافظة عليه واجباً و استمتاع و قد ظهر هذا جلياً في نتائج الاستبيان المرفق في[الملحق رقم1] (الشكل رقم 20)

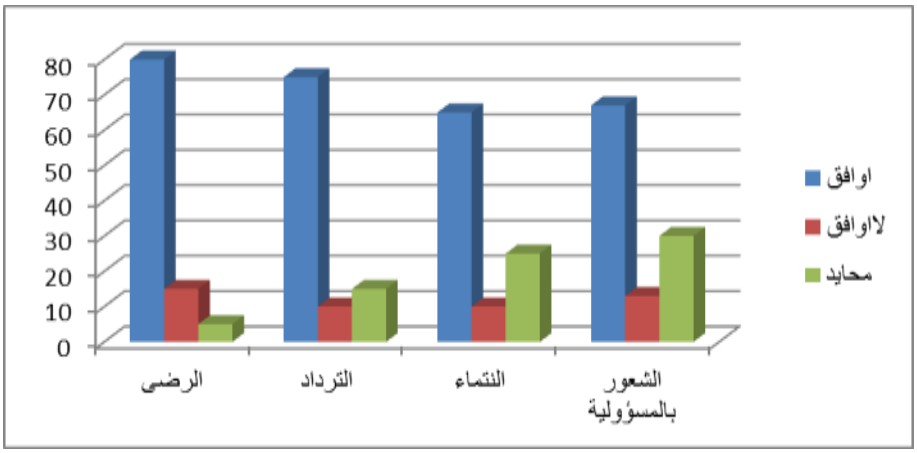

الشكل رقم (20)

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

1 -تلعب البيئة العمرانية بتكوينها الفيزيائي وقيمها الجمالية دوراً مهماً في التأثير على درجة وقوة السلوك الانتمائي الإيجابي المتمثل بحرص السكان المحليين في الحفاظ على مكونات وجماليات بيئتهم العمرانية، وعلى التعاون والمشاركة في تحقيق هذه الغاية من خلال مشروعات التجميل التي تحدث في تلك البيئة.

2 -الهدف الأساسي لتجارب تجميل البيئة العمرانية أو أجزاء منها هو تأمين بيئة تحقق للفرد احترام الذات بنشر الطاقة الإيجابية للجمال في المكان من خلال استخدام الألوان المتناسقة وإيجاد عناصر تجميلية بوسائل بسيطة قادرة على الحد من مظاهر التلوث البصري المتفاقم في ظل التدهور العمراني الذي تشهده مختلف البيئات العمرانية.

3 -يتباين نوع وحجم المداخلات المعمارية والعمرانية لمشروعات التجميل حسب الخصوصية المكانية للموقع أو للمكان المراد تجميله ضمن البيئة العمرانية، حيث يلاحظ هذا التباين بحسب المساحة الجغرافية التي تتم عليها المداخلات: حي سكني، شريحة سكنية أو تجمع سكني، فراغ شارع صغير، شارع رئيسي، ساحة، حديقة عامة.... كما يلاحظ هذا التباين بحسب الإمكانيات المتاحة التي تساعد في تنفيذ عمليات التجميل مثل: الدعم الحكومي(البلديات)، توفر مصادر التمويل، وجود مشاركة مجتمعية فاعلة، إلخ...

التوصيات :

لتحقيق التأثير الإيجابي لتجميل البيئة العمرانية على سلوك الإنسان للوصول إلى بيئة عمرانية تتمتع بدرجة مقبولة من الجمال تم اقتراح مجموعة توصيات يمكن الأخذ بها في المدن السورية عموماً ومدينة اللاذقية خصوصاً:

1 -القيام بحملات توعية مجتمعية في أحياء المدينة لنشر مفاهيم وضرورات المشاركة في تجميل البيئة العمرانية لتلك الأحياء؛ ولتوضيح تأثيراتها النفسية والفيزيولوجية والبصرية على أفراد المجتمع المحلي.

2 -ضرورة تشكيل فرق عمل من مجلس المدينة وأهالي الأحياء السكنية لمناقشة أفكار وأهداف مشروعات التجميل والارتقاء بجمالية البيئة العمرانية في أحياء المدينة وذلك ليصار إلى اعتمادها وإقرارها لاحقاً بعد وضع البرامج التنفيذية لتلك المشروعات.

3 -تقديم الدعم المعنوي والمادي للمبادرات الفردية والمجتمعية (منظمات وجمعيات المجتمع الأهلي) في سياق مشروعات تجميل البيئة العمرانية بغض النظر عن حجم الأعمال والأماكن المرتبطة بمشروعات التجميل هذه وذلك لأن نجاح مثل هذه المبادرات وتكرارها سيؤدي حتماً إلى بيئة عمرانية أكثر جمالاً وراحةً وجودةً لساكنيها.

4 -ضرورة قيام كليتي العمارة والفنون الجميلة ونقابة المهندسين ومجلس المدينة بطرح مسابقات أفكار لتجميل الشوارع والساحات والحدائق الرئيسية في المدينة واختيار الحلول الأفضل لدراسة تنفيذها على أرض الواقع.

المراجع :

(1) د.النعمان ،حسام؛ د.الطحلاوي ،رضوان .*تأثير البيئة الطبيعية والثقافية في تشكيل البيئة الفضائية* . مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية في القطر العربي السوري ،المجلد الرابع والعشرون ،العدد الثاني،2008،1-31.

(2)ROOF,k.;OLERU. *public health*: *Seattle and king county's push for the built environment*.j j environ health ,71,2008, 24-27.

(3)LYNCH,kevin.a,*the image* of *the city*.the Massachusetts Institute of technology and the president and fellows of Harvard college,USA,1960,181.

(4) د.القباع ،مندل. *القيم الجمالية و أثرها في سلوك الانسان* ،2015 5-3، <https://uqu.edu.sa > .

(5)- يتبالدز ،فرانسيس ، *جعل المدن ملائمة للناس: تحسين بيئة الأماكن العامة في البلدان والمدن* .الطبعة الثانية، النشر العلمي والمطابع ،المملكة العربية السعودية ،138،2000.

(6) د.بلقاسم ،أديب، *البنية العمرانية الحديثة والمرض الاجتماعي في المدينة بالجزائر (دراسة ميدانية لمدينة باتنة)*. مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية في القطر العربي السوري،المجلد 25 العدد الاول والثاني، 2009، 431-452

(7) م.فرحات،باهر اسماعيل، *العلاقة التبادلية بين السلوك الإنساني و البيئة المادية في الفراغات العمرانية* . جامعة عين شمس ،القاهرة 2000،2014-9-16 ،<www.caps-ejypt.com>.

(8) *مفهوم التربية الجمالية و وظائفها وأهدافها* "بحث منشور" جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية ،2015-2-3، <uqu.edu.sa/page/arl118079>.

(9) أ.د الشامي ،صالح بن أحمد. *خصائص الجمال و مقاييسه* "مجموعة أبحاث منشورة "، 2013، < www.aluka.net> .

(10) م.نوار ،حاتم ؛م.م.أحمد،مظهر، *دور لوحات الاعلان التجارية في التلوث البصري للبيئة العمرانية في المدن العراقية*. مجلة واسط للعلوم الإنسانية ،العراق ،العدد العشرون،2010،331-348 .

(11) Volkswagen. *The theory* of *fun* ،20-4-2015، <http:// WWW.thefuntheory.com>.

(12) جعلان،مكتبة الكتب و البحوث، *أثر البيئة على السلوك الإنساني.* 1-9-2006، < www.jalaan.com>،2014

(13) د.عيد ،يوهانس ؛د.الحسيني ،عمر محمد ، *التلوث البصري و تأثيره على سلوكيات الإنسان واستيعابه للفراغات العمرانية العامة (بحث تحليلي مقارن :القاهرة –دمشق* .2-10-2015 www.caps-ejypt.com

(14) 2-4-2015،http://www.landarchs.com/

(15) 3-2-2015،https://www.asla.org/lamsubscription.aspx

(16) آرن ،الينا. وثائقي تلفزيوني، www.dw.de، Deutsch welle،2012 ، http://youtu.be/AWIYbUtMYos ، 5-9 2015

(17)د.رضوان، أحمد حسني؛ د. اسماعيل،أحمد يحيى. *مقالات في العمران–دور الفنون الجميلة في الارتقاء بالبيئة العمرانية "دراسة حالة "*، بناة– العمارة و البناء، جمهورية مصر العربية، 2015–4–15<**خطأ! مرجع الارتباط التشعبي غير صحيح.**>.

(18)https://www.facebook.com/colorfulldrops،20–4–2015

(19)د.الحناوي،وحدة شكر ؛حسن،ندى عبد المعين.*التناغم اللوني في البيئة الحضرية* ،الجامعة التكنولوجية ،بغداد، IraqArchMagazine< uotechnology.edu.iq> 14–9–2015 .